الأستاذ الدكتور ظافر القرني ضيفاً في زاوية لقاء

في هذه الزاوية من لقاء يسعدنا استضافة سعادة الدكتور ظافر القرني رئيس مجلس إدارة النادي، وهذا اللقاء أجري معه في البدايات الأولى للنادي على شبكة الإنترنت، وكان لهذا اللقاء أصداء إيجابية فتحت آفاق جديدة للتواصل بين أعضاء النادي، ونظراً لطول اللقاء فقد انتقينا لكم مقتطفات منه، ويمكنكم الرجوع للنص الكامل للقاء على موقع النادي.

■ ماهي وجهة نظركم في التخصصية في العلوم والمعرفة وعلى وجه الخصوص في (نظم المعلومات الجغرافية)؟

سؤال مهم وجدير بالمناقشة، وما نقوله فيه آراء تحتمل الصواب وتحتمل الخطأ لأن مفهوم التخصص وعدمه يختلف من عصر لعصر ومن موضوع لموضوع. أضرب لك مثالاً. كان كثيرٌ من علماء المسلمين الأوائل مبدعين في أكثر من مجال. فالعالم منهم تجده في الحديث والفقه والتفسير واللغة والتأريخ وغير ذلك. وتجد العالم في هذه كلها أو بعضها ويعمل في مهنة شاقة لطلب الرّزق. وتجد منهم من يبحر في الرياضيات والفلك والجغرافيا وربما غيرها من المعارف الأخرى، ويأتي في كلٍّ مجال بما يبهر العقول. لكن يظل هؤلاء القوم قلّة وإن كثروا قياسًا بكثرة النَّاس من حولهم.

هذا حال، والحال الآخر في طبيعة العلوم نفسها. لعلك تتفق معي أن نظم المعلومات الجغرافية ضربت مفهوم التخصص الذي نعرفه في الصميم فمحقته إلى الأبد. فقبل مدّة قصيرة لم يكن الجغرافي مهتمًا بالمعارف الهندسية كثيرًا، وكذلك الهندسي لم يكن ينظر إلى المعارف الجغرافية باعتبار. والمهندس المدني المتخصص في غير المساحة ما كان يرى أن الخريطة مهمة له بل ربما رأها أداة تخلف بخطوط كنتورها وأشكالها. وقس على ذلك حال صاحب البيئة في الزراعة، والجيولوجي في الطبيعة، وغيرهم كثير. واليوم أيقن الجميع أن لا مناص من معرفة ما لدى الآخر حتى تكون الحلول شاملة وسليمة.

هذا النوع من واجب المعرفة يوسِّع دائرة الاختصاص وإن كان لا يلغيه. فأنا أوافقك أنَّه لا بد من التخصص ليكون التميّز لكن السؤال هو ما قطر دائرة هذا التخصص، أيها الفاضل؟

إنَّ مفهوم التخصّصِ وحجمه يتغيران من حين لآخر. ولو نظرنا مثلاً إلى علاقة المساحة التصويرية (Photogrammetry) والاستشعار عن بعد (Remote Sensing) ببعضهما في الماضي القريب واليوم لبان لنا هذه المفهوم بشكل واضح. فرغم المشتركات الكبيرة بينهما، ما كان علمٌ منهما يلتفت لآخر، بل رأينا تنافرًا بين أصحاب هذا العلم وهذا العلم حتّى أن أحدهما ربما أنتمى إلى قسم والآخر إلى قسم آخر في كثيرٍ من جامعات العالم. فانظر لحالهما اليوم لقدٍ جعلتهما التقنية يتدانيان إلى حدٍّ الاتحاد تقريبًا؛ فالصورة أصبحت ذات هيئة واحدة، والمعالجة تستخدم نماذج رياضية واحدة، والمخرجات تتقارب في الدّقة وإن بقي بعض الفوارق المهمة بطبيعة الحال. إن من كان يستطيع في بداية الثمانينيات الميلادية الماضية أن يقول المساحة التصويرية شيءٌ والاستشعار عن بعد شيء آخر لا يستطيع أن يرفع صوته بنفس الحدّة في يومنا هذا. فلو تخصص أمرؤٌ اليوم في أحدهما ولم يهتمَّ بالآخر لأصبح تخصصه منقوصًا. هذا مجرد مثال آخر للتّضح الصورة وإلاَّ فالأمثلة كثيرة في كلّ حقل من حقول المعرفة .

فالذي أراه أن التّخصص ضرورة لابد منها؛ ولكنّه تخصص منفتح على الرَّوافد القريبة منه التي تغذّيه ويغذّيها. وقد تزيد هذه الروافد أو تنقص بحسب قدرات النَّاس ومواهبهم التي منحهم الله إياها (وفوق كلِّ ذي علمٍ عليم).

أمَّا ما ذكرت أن هناك متخصصًا ومستخدمًا فهذا صحيح؛ والمستخدم هو الذي لديه قدرة في توظيف التقنية بشكل جيد ولذلك تجد لدينا معاهد تقنية كثيرة تابعة لتخصصات مختلفة. وقد يتلاشى الفاصل بين المتخصص والتّقني إذا ما استطاع المرء أن يتقن العملين بمهارة جيدة....

أن من يريد التخصّص في نظم المعلومات الجغرافية يلزمه استرفاد ما سبقها من علوم وتقنيات في تخصصات مختلفة كالجيوديسيا، والمساحة التصويرية، والاستشعار عن بعد، والكارتوقرفي، والجغرافيا ..... وغيرها لأن نظم المعلوما تقوم عليها علمًا وتقنيةً. بهذا أصبح المتخصص، أمس، في علم واحد من هذه العلوم، متخصصًا اليوم بقدر معلوم، في عدد منها، ولا مناص له من ذلك.

■ ما رأيكم حالياً فيما يُقدم في قسم المساحة من خطة دراسية في تعليم المساحة؟

وما رأيكم في وجود مادة واحدة فقط في تعليم مبادئ نظم المعلومات الجغرافية ألا تجدها قليلة جداً على هذا العلم؟

الخطة بصفة عامة، من وجهة نظري، بين الجيد والجيد جدًّا فلا ترقى إلى الممتاز ولا تهبط إلى السيء من الخطط. ولهذه المنزلة بين